

تجليات الأسطورة في الخطاب الروائي النسوي
"رواية نون لسحر المويجى" - أنموذجا-

The manifestations of the myth in the feminist narrative discourse
"Noun's Novel of theSahar El-Mougy" - A Model-

د. سهام داودي^{*1}

¹ جامعة الطارف، (الجزائر)، daoudisiham36@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/12/31

تاريخ المراجعة: 2022/11/22

تاريخ الإيداع: 2022/09/01

ملخص:

تسعى هذه الدراسة لتبيان النزعة الأسطورية المتجذرة في الكتابة الإبداعية، وخاصة تسلط الضوء على الخطاب الروائي النسوي، فالأسطورة بحد ذاتها ممارسة تحمل في طياتها العديد من المعاني المختلفة بحسب توظيفها ضمن ثنايا الخطاب الروائي، فالتوظيف الأسطوري يفسح المجال للروائي لبناء شخصيات خيالية، وتتحد مع شخصياته الروائية ونسج أحداث تتغذى المألوف وبذلك تفسح دائرة المحكي الممزوج بالنزعة الأسطورية، وهذا ما سنحاول تبيانه في رواية نون لسحر المويجى، وكيفية بناء هذه الأخيرة للصرح الأسطوري ضمن محكياتها.

الكلمات المفتاحية: الكتابة النسوية، الإبداع، الخطاب الروائي، التجريب، النص الأدبي، الأسطورة.

Abstract:

The study seeks to demonstrate the mythological tendency rooted in creative writing, it highlights the feminist narrative discourse in particular, the myth in itself is a practice that carries many different meanings according to its use within the folds of the narrative discourse, as the mythological function provides way to the novelist to build fictional characters, and combine with his fictional characters and weave events that feed the familiar and thus giving way to the circle of the narrator mixed with mythological tendency, and this is what we will try to show in Noon's novel of Wizard Magic, and how the latter builds the mythical edifice within its narratives.

Key words: Feminist writing, creativity, narrative discourse, Experimentation, literary text, myth.

* المؤلف المراسل.

تقديم:

لطالما اعتبرت الكتابة فنّ وإبداع ومحاكاة لتجارب إنسانية نسجت من خيال الكاتب أو حكاها من تجارب شعورية حقيقية، وما يلفت الانتباه في الآونة الأخيرة غزو الساحة الأدبية بأقلام نسوية فرضت استراتيجيتها في مختلف الأجناس النثرية والشعرية، وتشكل لنا في الأخير ما يعرف بـ "الأدب النسوي"، سواء كان سردا أم شعرا، فمصطلح "الكتابة النسائية" دخيل على الثقافة والنقد العربيين كغيره من المصطلحات النقدية الكثيرة والمتداولة في لغة النقد العربي... فمصطلح "الكتابة النسائية *écriture feminine*" هو حصيلة نضال نسوي غربي طويل أفرز نقده الخاص به، فالمذهب النسوي الغربي أو *feminisme* مصطلح أطلق على الفكر الإبداعي إلى تحرير النساء من القمع الذي طالهن لقرون من الزمن السلطة الذكورية، وقد ظهر هذا المذهب بداية في أوروبا في أواسط القرن التاسع عشر كجزء متضمن في الخطاب التنويري¹

ولابد من الإشارة هنا لفضل الإسلام الذي عزّز المرأة ورفع مكانتها وأعطاهما حقها في الميراث ورفع قدرها، بعدما كانت صورة المرأة مشوهة في أديان ومعتقدات أخرى كالجاهلية (وأد البنات) ونبذ المرأة في الديانة اليهودية... ومثل الممارسات والعادات الشنيعة التي ارتكبت في حق المرأة في أيام الجاهلية لقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾² وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾³ فالإسلام عزز مكانة المرأة ورفع مكانتها وجعلها مصونة، مكرمة أعطاهما حقوقها كاملة بعدما كانت مضطهدة وعبدة وتحت الوطأة والسلطة القهرية للرجل.

فتسلط الرجل وفرض جبروته وتجاوزته لحقوق المرأة قهرها، فالمرأة كانت ملكا من ممتلكاته وتورث بعد مماته، فقبل هذه الحملات التنويرية الغربية التي تدعو إلى تحرر المرأة في أغلبها هو تحرر المرأة إلى الشعور والتبرج والتجبر والتعري... الخ، أعزّها الإسلام بمراتب السمو والعلو وفرض المساواة بين الذكر والأنثى، لكن طرق مصطلح الكتابة النسوية بابي النقد والأدب العربي، وأخذ معاني أخرى تجمع بين الكتابات الأدبية (الشعرية والنثرية) التي أفرزتها أقلام نسوية عبرت من خلالها عن مختلف التغيرات والمتغيرات التي واجهتها المجتمعات العربية عبر الأزمان... راصدة جلّ العادات والتقاليد التي تخصّ المرأة أو علاقتها بالرجل (علاقات حب، زواج، أخوة، أمومة... الخ)، وناقدة أحيانا لهذه الأوضاع الاجتماعية التي تؤمن بها المجتمعات العربية نتحسسها بين ثنايا السرد أو الشعر أو المسرح أو السينما. والكتابة الإبداعية ككل ولا سيما النص الأدبي فهو في حقيقته ليس مجموعة من الألفاظ والتراكيب المتراسة، بل هو على حد تعبير رولان بارت تشكل إيحائي ولذة وجملة من العلاقات التناسية فهو "ذلك الكائن اللغوي والمجازي الخاص والذي فيه مرونة دلالية تجعله مفتوحا لكل الرياح وقابلا للاختراق من جميع الجهات، أي تجعله قابلا لأكثر من قراءة"⁴ ولهذا يحتاج دائما لمتلق يتقن كيفية فك مغاليقه ويحاول أن يستنطق النص حتى وإن رفض البوح بمعانيه ودلالاته وإيحاءاته.

ظهرت في الآونة الأخيرة ثلة من النساء اللاتي فرضن كتاباتهن الإبداعية، وأصبحن أعلاما فمن منا لا يعرف أحلام مستغانمي، سناء شعلان، جميلة زنير، سحر الموجي، زهور لونيبي... الخ كلهن كاتبات ومبدعات تمسكن بأقلامهن لمجابهة الواقع بكل تفاصيله وحيثياته، فممن من ساندت قيما تدعو إلى تكريم وتحصين الأنثى، وممن من رسمت اضطهاد المرأة وتصوير سلطوية العنصر الذكوري، وممن من نادى بالتحرر المطلق للمرأة عبر نوافذ الأخلاق والقيّم، فلعل نزعتهما الخاصة وأيديولوجيتها التي تدفعها إلى إفراز كتاباتها سواء كانت شعرا أو نثرا.

أخذت الرواية حيّزا من كتاباتهم باعتبار هذه الأخيرة جنسا أدبيا طاغ على الأجناس الأدبية النثرية، فهي "تفسير لعلاقة الإنسان بالكون أو بنظام اجتماعي بذاته أو عرف بعينه أو بيئة لها خصائص تنفرد بها حول نشأة الأسطورة، فيزدها الدكتور نضال صالح في كتابه: النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة إلى الطقوس التي كان الإنسان في المجتمعات الأولى يؤديها استرضاء لقوى طبيعية"⁵.

فالرواية كتابة إبداعية تتغير وتتجدد و تنزع نحو الاختلاف والتطور، وتنبذ الانطواء والانزواء داخل قوقعة المعطيات التقليدية الكلاسيكية السردية، وهذا فعلا ما نلمسه فقد مر نقد الرواية العربية بمحطات متنوعة عبر مساره التطوري، اتجه في بادئ الأمر نحو المقاربة السياقية الموضوعاتية ذات المرجعية السيوسولوجية ثم تحول تدريجيا نحو المقاربة النسقية، وهذا التحول رهينة بالمتغيرات التي تصاحب المجتمعات والفكر الإنساني الإبداعي، فكيف للمؤلف أن يتحدث عن الإنسان البدائي وأدواته البسيطة في الصيد وحلّه وترحاله وعن البيداء والظبي وهو يواكب موجة من التطورات العلمية، التكنولوجيا كالكمبيوتر والرجل الآلي ورحلات الفضاء عبر المكوك الفضائي وعالم الانترنت واستخدام مواقع التواصل الاجتماعي والهواتف الذكية والمعلوماتية وغيرها؟ فلا بد أن تلبس الرواية ثوبا جديدا في تقنياتها وأدواتها الفنية ولغتها وأن تتميز بالجرأة في الطرح ومعالجة قضايا جديدة تواكب البنى التحتية والفوقية للمتغير الراهن، وهذا فعلا ما نتحسسه في الروايات الحديثة أو ما يعرف بروايات تيار الوعي، والتجريب ارتبط بخطاب الحدائث ويمارس عندما "نفرض المعاني والأحكام عندما نقيم الناس والأوضاع، وعندما ندرس الأفعال وأساليب التصرف في مسار هذه الخبرات العقلية نكتشف أننا بشر ذوو حاجات ومشاكل، والبعض منها لا ينبع مباشرة ممن وجودنا المادي، ونحتاج الى توصيفات ملائمة بعدئذ نبدأ بتطوير تلك الصور المفاهيمية الما وراء طبيعية والاصطناعية للغاية كالشعور والخيال والفكر والشك والامل والزيغ واليوتوبيا والنظرية والأسطورة"⁶ فهو يحمل في طياته حمولات ثقافية إيديولوجية وسعتها للعملية التجريبية محققة ما يعرف بالتصور المدرك المحتك بالتجربة والذات والموضوع وتفاعلها المباشر وهذا ما يفرز لنا في نهاية المطاف خطابا موجها يستدعي قارئنا نشطا لفك مغاليقه ومعرفة دهاليزه الغامضة أو الواهية أحيانا أخرى.

منحت الأسطورة آفاقا جمالية وتجريبية فتحت المشهد السردى الروائي العربية المعاصر على مشاريع نقدية مختلفة ومتنوعة تجمع بين التناقض والإغراب والأسطورة، وهذا ما أدى إلى وضع مقاربات وآليات وأدوات إجرائية جديدة لفك شفرات هذا المعطى الروائي. وأيضا نشير هنا لقضية مهمة ألا وهي "فصل الأسطورة عن القيم الأخلاقية والمحرمات الدينية فهي لغة الشعب في مرحلة معينة من مراحل تطور رموزه الاجتماعية، إن علاقة الأسطورة بالقيم علاقة وثيقة قد تعود إلى المزج بينهم، أما الحقيقة فلا، لأن الأسطورة تشكل جزءا مهما من البنية الأيديولوجية للمجتمع يمكنها من أن تغير أو تؤخر المجتمع حسب موقعها من بنيتها الحتمية، إننا نستطيع أن نلاحظها في السلوك التغييري المشدود إلى الواقع الاقتصادي الانفجاري"⁷.

وما يدعوننا للتساؤل هو كيف للأسطورة أن توظف في السرد وتكون غايتها مواكبة المجتمعات المتطورة،

وأين يكمن دورها في المحكي؟ وما هي أهدافها ودوافعها؟

أولا- الأسطورة وتمثالاتها:

كثيرا ما عرفت الأسطورة على أنها قناعة نقدية يؤمن بها الإنسان البدائي، يلجأ إليها لكي يخفف من وطأة المجهول والخوف الذي ينتابه ويفوق مستوياته العقلية فكره الساذج البسيط إثر وقائع طبيعية، فمثلا: سماعه لصوت الرعد، اهتزاز الأرض، ظاهرة الكسوف والخسوف تغير المناخ، الشمس، القمر، البحر؛ فالقوى الطبيعية والعالم الميتافيزيقية تجعله يفسر ويعطي لها أسبابا تساعد مواصلة حياته وبعث الطمأنينة في نفسه، فالإيمان بالولادة الجديدة، حقيقة الخلق، والروح وعالم الجن، القوة الخارقة... الخ.

فمنها من المعتقدات والديانات ومنها من نسج خيال الإنسان... الخ، فحتى ولو كانت الحجج والبراهين واهية لا أساس لها من الصحة إلا أنها تبعث في نفسيته روحا جديدة تدفعه للعيش "فالأسطورة شكل من أشكال النشاط الفكري، فهي بهذا المعنى تلتقي بالأدب بوصفه نشاطا فكريا أيضا، ويمثل الشعر الحاضن الأدبي الأول للأسطورة والذي فيه وعبرة تمت صياغتها وبفضلها اكتسبت نفحة الحكمة، وعلى النحو ذاته تتجلى علاقة الأسطورة بالملحمة ثم المسرح الذي نشأ في أحضان عبادة الآلهة الأسطوريين الرواية التي تمثل استطلاعات للسرد الميثولوجي بوضعها وسيلة تعبير تدل على خصب المخيلة البشرية وتراثها"⁸.

فتوظيف الأسطورة في السرد، يختلف من مبدع لأخر، فلكل استراتيجياته وتقنياته الخاصة وأهدافه التي يبتغيها من هذا التوظيف، فهناك هدف سياسي "وهو اتخاذ الأسطورة قناعا وقائيا يحميه من عين الرقابة ويدع مسافة مجازية بينه وبين السلطة، وهدف فني وهو تحرير النص المجازية بينه وبين السلطة، وهدف فني وهو تحرير النص الأدبي من أسوار البلاغة القديمة التي تقوم على السجع والزخرف والمبالغة وكسر النمط الخطي السردى الحديث"⁹، فمنطق الأسطورة يتجلى في خطية النمط السردى متخذة أقنعة متعددة، فقد تمسّ النزعة الأسطورية شخصيات فتجعلهم بذلك شخصيات أبطالاً خارقين، فمثلا الأسطورة الحديثة التي مسّت شخصية سوبرمان الخارق، والرجل الوطواط، والرجل العنكبوت... الخ كلّها حكايات نسجت من خيال المبدع، أيقظت روح الأسطورة والغرابة والعجب وألبستها أثوابا جديدة تواكب العصر الحالي، كما يجرتنا الحديث هنا عن روايات الخيال العلمي التي توظف جانبا أسطوريا، فقد يكون التوظيف كلياً أو جزئياً أو متشظيا في ثنايا الحكى، وفق استراتيجية ديناميكية...محبوكة من طرف المؤلف سواء من حيث اللغة أو في توزيع المكونات السردية (الزمن، الفضاء، الشخصية، الحدث)، فالأسطورة جزء لا يتجزأ من الحكى ككل، إلا أنه يختلف توظيفها من كاتب إلى آخر .، فلطالما كانت الاسطورة مادة خاما ومنهلا خصبا نحت منه الشعراء والكتاب والرواة من بعض شخوصها ورموزها وملامحها واختلفوا في النهل منها وفي كيفية توظيفها، فالأسطورة "تروي تاريخا مقدسا تروي حدثا جرى في الزمن البدئي، الزمن الخيالي، زمن البدايات، بعبارة أخرى، تحكي لنا الأسطورة كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود، بفضل ماثر الكائنات العليا، لا فرق بين أن تكون هذه الحقيقة كلية كالكون مثلا أو جزئية كأن تكون جزيرة أو نوعا من نبات أو مسلكا يسلكه الإنسان أو مؤسسة، إذن هي دائما سرد لحكاية خلق"¹⁰ فالأسطورة إذن هي "منتوج إنساني تروي تاريخا بدائيا، وفي الوقت نفسه تروي تاريخا مقدسا"¹¹، فهي تسعى للبحث عن القيم والكمال والصفاء والنقاء بمفهوم آخر بحث عن الإنسانية الحقة والمثل العليا وتجسيد الكون والكينونة بالتوازن في العالم الفعلي والعالم الماورائي .

ثانيا-تجليات الأسطورة في رواية نون لسحر الموجي:

تعتبر سحر الموجي* من أبرز الأقلام النسوية المصرية الذي عرفتها الساحة الإبداعية الكتابية المعاصرة، فهي كاتبة ولدت سنة 1963، وخرجت من قسم الإنجليزية بكلية الآداب بجامعة القاهرة، حيث تعمل حالياً أستاذة للشعر الإنجليزي والأمريكي، عملت في الجانب القصصي والروائي، وها مقالات عديدة نشرت في الجرائد المصرية، أسست سنة 2009 مع مجموعة من الكاتبات والأكاديميات ورشة كتابة نسوية اسمها: "مجموعة أنا الحكاية"، تعنى بقضايا المرأة، حازت سحر الموجي عام 2007 على الجائزة العالمية للشاعر اليوناني الشهيد كفافيس، ومن أعمالها الأدبية: سيدة المنام (مجموعة قصصية)، آلهة صغيرة (مجموعة قصصية)، دارية، رواية 2008، ونون رواية صادرة عن دار الشروق، القاهرة 2008 وهي موضوع بحثنا هذا.

1-رواية نون غرابة العنوان: "نون"

أول ما يلفت الانتباه لهذه الرواية هو غرابة عنوانها "نون" فكثيرا ما تكون عناوين الروايات عناوين مركبة أو مفردة أو جملة، فعندما نجد عنوانا يأخذ شكل الحرف فبمجرد سماعنا لعنوان (نون) يتبادر إلى أذهاننا نون النسوة، فقد تماشى العنوان لحد كبير مع متن الرواية إذ يغلب عليها الطابع السردي الأنثوي، أما لغويا فطالما دل على الاتساع والكبر والاحتواء وهذا ما شكل إغواءً للقارئ لشده ولفته انتباهه للمتابعة محتوى المتن السردى، الذي يستفيض بدلالات أسطورية خاصة الحضارات الفرعونية المصرية كاستحضار فضائها وأماكنها -مصر القديمة- فهي حضارة عريقة قديمة في الشمال الشرقي، عرفت بأهراماتها ونهر النيل امتدت إلى ما يقارب ثلاثة آلاف سنة وعرفت تطورا رهيبا في مختلف مجالات الحياة، ففي حضارة موغلة في القدم وما زال ليومنا هذا ينقب عن كنوزها ومكوناتها وإبداعاتها.

عالجت الرواية أيضا مواضيع نفسية إنسانية كموضوع الحب، موضوع الألم، موضوع الذات، حضور المرأة... الخ.

تقول سحر الموجي في بعض المقتطفات من الرواية "اخترت فتح باب الحكاية بأن أخبركم كيف اختارتي الحكاية لكي أصبح روايتها"¹²

وفي مقطع آخر: "اخترت أن أبدأ الحكاية من نقطة مضيئة هكذا يجب أن تبدأ الحكايا"¹³

2-أسطورة إخناتونونفرتاري:

تنسج سحر الموجي محكياتها بطريقة ذكية تمازج فيها بين الواقع الحقيقي وبعث روح الحضارة الفرعونية وإيقاظ شخصياتها الخالدة عبر الأساطير والتاريخ، يبين لنا هذا المقطع ذلك: "...قامت من جلستها على السرير وتربعت على الأرض كان صوت ناياتها يصلها من الكمبيوتر في حجرة المعيشة أخذت نفسا عميقا بعد أن أغمضت عينيها، لا تزال تراقص لهب الشمعة الزرقاء..تحول عقلها إلى يد تشبه يد جدتها "إيزابيلا"، عندما كانت تمسد ظهرها...وهي تحكي لها عن عشق "إخناتون" ونفرتاري" وعن كيف أنجب "جب" إله الأرض و"نوت" إلهة السماء، أربعة أطفال منهم الطيب "أوزوريس" والشيرير "ست" وكيف أسبغ الفراعنة صفات البشر على الآلهة فصارت لتلك الكائنات أوجه متعددة...وتستكمل قراءة مغامرات "إيزيس" بحثا عن أشلاء حبيبها وهي جالسة على الأريكة"¹⁴.

وظفت الأسطورة في رواية نون باستراتيجية بارعة حيث نتحسسها بين ثنايا ذاكرة الشخصية المحورية "سارة" تارة وبين أحلامها وشرودها، تأتي وفق لغة راقية توظف الأساليب البلاغية والصور المجازية، وتارة أخرى تستدعي اللغة العامية (اللهجة المصرية).

استدعت سحر الموجي رموزاً أسطورية في بعض المقاطع، الواردة في النص الرائي مثال ذلك: "بيت الأسرار"، شجرة الجميز العتيقة، الكاهنة الأم، بيت الحياة، التداوي بالأعشاب الطبيعية... الخ، فلو تمعنا جيداً نجد أغلبها تعود إلى مسارات أسطورية قديمة كحديثنا عن شجرة الخلد، علاج الروح والارتقاء بالنفس البشرية، الرمال المتحركة، السحر وعالم الجن، المعجزات الطبيعية... الخ.

تقول: "بينما كان الصغار في ذلك الجزء من المعبد المسمى ببيت الحياة يتعلمون فنون الكتابة... في فناء بيت الأسرار التفوا في دائرة تحت شجرة الجميز العتيقة ينصتون إلى الكاهنة الأم... الآن وقد تعلمتم أسرار النباتات... وعرفتهم كيف تداوي الطبيعة الأم علل الجسد تعالوا بنا نفهم كيف نضع من الحكايا بلسماً لجروح الروح"¹⁵.

فهي تعالج قضية الجسد والروح وبعث الحياة والموت، وأثر... الحكى في نفسية الإنسان، فالنفس البشرية تواقفة للسمع، وفي مقطع آخر: "...أحرق نساء لأنهن كنّ دايات ومداويات بالأعشاب ومحبات للطبيعة ومؤمنات بقدراتها الشافية للروح والبدن... فاتهموا مثلهم بالسحر وعبادة الشيطان"¹⁶.

والمتمعن جيداً لكتابة سحر الموجي نجد تقارن بين الاضطهاد القديم للمرأة والوقت الراهن، فكأنها تقول تغيرت المسميات والأزمان أو المعطى والمغزى واحد ألا وهو اضطهاد وقهر المرأة بفتاوى قد تكون باطلة أحياناً. تتواصل المقاطع الروائية التي تعتنق الأساطير القديمة ومثال ذلك "...كان يحمل ملامح شبه لصوت إيزابيلا تلك الساحرة القديمة التي علمتها كيف تنصت لموسيقى في جذع شجرة إيوكاليقبوس. تبدأ سحر الموجي الجزء الثاني من الرواية بأبيات شعرية تكون واجهة للولوج إلا الحكى، "تركت الفتاة... استحياء"¹⁷.

3- الأسطورة والتاريخ:

وظفت حقائق تاريخية في المحكي، كحديثها عن "صدام حسين" ونيل القوات الأمريكية منه ووصف حالته المزرية، كذلك الحديث عن التمييز العنصري وفترة العبودية في أوساط الأمريكيين السود وقضية اعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية، وبوش يهدد بمقاطعة المؤتمر إذا كانت إسرائيل هدفاً له، كلها حقائق وردت بتقنية محبكة في ثنايا السرد عبر شخصيات مثل شخصية حسام توهم القارئ بمصادقية السرد الروائي. وفي مقطع آخر تستدعي الأسطورة مجدداً "هكذا كان يبوح لسارة... الحياة تختار مساراتها وكثيراً ما تكشفون لاحقاً... رغم أنكم وقت الألم تخبطون أقدامكم في الأرض... تكون... فتخر صرخاتكم قلوب الآلهة"¹⁸.

وتقول أيضاً: "...لحظة تقوض الحلم القديم الذي تهاوى مع الحجارة المتساقطة من السماء فوق رؤوس كل من حلم بجنة على أرض العالم الجديد"¹⁹، قد يكون هذا المقطع مقتبساً من سورة الفيل وحادثة محاولة هدم الكعبة الشريفة في قوله تعالى: ﴿وَتَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (04) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (05)﴾²⁰، ربطت أحداث هذه الأسطورة بأحداث 11 ديسمبر، التي اهتز لها العالم وذلك إثر ضرب أميركا في قلب عواصمها.

4- أسطورة جلامش وعشتار*:

تستأنف سحر الموجي الجزء الرابع بمقطع تتحدث فيه عن شخصيات أسطورية "جلامش وعشتار"، تقول فيه:

وبعد أن عاد جلامش من معركته مظفرا.

جاءته عشتار وعرضت عليه وصالها.

تعال يا جلامش وكن حبيبي.

هبني ثمارك هدية.

كن زوجا لي وأنا زوجا لك.

لكن جلامش أدار ظهر الحب إلى الآلهة وأخذ في تعداد مثاليها وتهتكها.

أي حبيب أخلصت له الحب إلى الأبد؟

وأي راع أفلح يرضيك على مر الأزمان؟²¹

امتزج لحن الأسطورة في وصف شخصية المرأة ويعود بنا المحكي إلى زمن رودان "لغدت من أجمل موديلاته بتلك الدرجة من اللون الخمري وهذا البروز الخفيف لعظمتي حوضها...هاتان العينان الواسعتان السودتان والشفتان المكتنزتان في وجه مستدير يحوطه شعر ناعم فاحم السواد، ويتأكد لدي شيها لهؤلاء الكاهنات حاملات القيثار على جدران أحد المعابد الجنوبية فنون الحب...هي ذات الكاهنة في المعبد القديم معبدي ومعبد عشتار وأفروديت"²².

وفي مقطع آخر حيث يسمو الحب إلى حب الأساطير تقول: "...الذي يعرف إلهة الحب...فتفتح له أبوابا سحرية...أنها كاهنة "حتحور" العذراء التي لا يمتلكها رجل لأنها ليست ملكا إلا لنفسها، بعد كل أيام سبعة مع غريب عابر تعود عذراء من جديد تسترجع عذريتها" يتقاطع هذا المقطع مع محتوى القرآن الكريم وما أسفر عنه في الحديث عن حوريات الجنة (حور العين).

وفي مقطع آخر: "كنت أعرف يانورا المرأة الأولى في حلمه...الحمامة...هي الشكل الأكثر نضجا للحب هي أفروديت اليمامة البيضاء"²³.

يتعالى الحلم مع الأسطورة مشكلين لحمة واحة تحبك...نسيج النص الروائي، المكلل برموز يستشفها القارئ من خلال مواصلة القراءة (كالحمامة، اليمامة البيضاء...الخ)، "فالحلم باعتباره بنية خطابية في العديد من النصوص العربية قديمها وحديثها مقدسها ومدنسها، كما أنه يحضر في العديد من النصوص السردية باعتباره مولد الحكى فيها، على أساسه يبني العمل السردى بكامله...فهو خطاب سردي، يتراءى للمراء في النوم على شكل صور متقاطعة ومتداخلة وغير منسجمة"²⁴، وامتزج هنا مع الأسطورة لأن بينهما قاسم مشترك ألا وهو الخيال والإبحار في اللامعقول واستحضار عوالم وأبعاد عجائبية، فلا سلطة للعقل والمنطق على الاحلام ومجرياتهما "للحلم بعدا عجائبيا أيا كان الحلم لأنه من جهة ذو لغة خاصة، لا تختلف كثيرا عن لغة الخطاب العجائبي"²⁵ ومن هنا جاء هذا التداخل والتمازج بين الحلم والاسطورة.

تستأنف سحر الموجي الجزء السادس من المقطع الحكائي الأول "وقد نقل لنا الحكيم تحوت ما سبق وردته دوماً، سيدة السماء...أيقظ روحك النائمة"²⁶، يبدأ الجزء الثاني المعنون بـ "جمر أحمر" بالمقطع الآتي: "استدارت الهية فظهر وجهها الأسود...سيدة الرعد... إن الآلهة الكبار...بلا حدود"²⁷، تسقط سحر الموجي الشخصيات الروائية على شخصيات أسطورية، فكل مقطع من الأجزاء تحاول أن تشير إلى متنه عن طريق استحضار شخصيات أسطورية مثال ذلك: حثور ربة العشق والموسيقى عند الفراعنة أو فضاءات أسطورية كالمعابد والآلهة والكهنة والطبيعية، الريح...الخ.

ويتأتى ذلك على لسان سارة أو الشخصيات الأخرى كدنيا، منال أم سارة، حسام، تتحدث أيضاً عن الألم والوجع الذي ينتاب الشخصية المحورية في كل محاولاتها للتطلع إلى الأفق والبحث عن الحب الجاد، يواصل السرد تقديم الحثيات التي تمر بها الشخصية الرئيسية راصداً تذبذباتها وأوجاعها وآلامها. معززا بذلك بجلب الأساطير القديمة تقول: "...رفعت نفر عنخ عينها النجلاوين إلى العجوزتي قالت: كل بهجاتي ترقد في القبر معه...طعم القلب المكسور"²⁸.

أما الجزء الثالث المعنون بـ "سرديب الأسود" يستهل بالمقطع الآتي: "عبر الغريب...مسها برفق اليمامات"²⁹، نلاحظ أن جلّ المقاطع التي تبدأ بها سحر الموجي فصولها وأجزائها السردية هي عبارة عن مقاطع شعرية أو حكم نثرية من أشعار وكتابات بريطانية أو ألمانية أو أمريكية أمثال: متون هرمس، أو رسل، الشاعرة الأمريكية إميلي ديكنسون، والروائية كاترين باترسون الشاعرة الأمريكية المعاصرة كوزي فابيان...الخ.

فحضور مثل هذه المقاطع جاء لكسر رتابة السرد وتنفيس للقارئ والإبحار به في أعماق الأساطير القديمة وإسقاطها على نفسية الشخصيات الروائية، وأحيانا تستحضر الفضاء الأسطوري وهذا ما نستشفه من بداية الفصل الأول المعنون بـ "في البدء كان الأبيض" إلى غاية الفصل الأخير "تجليات الذهب". فتوظيف الأسطورة ينم عن فهم عميق لدلالاتها، وبراعة الكاتبة في استغلال مثل هذه الإيحاءات والمعاني لتسقطه إسقاطاً على الواقع الراهن، ومحاولة منها لموازنة العالم الأسطوري بتجلياته ورموزه وأبعاده والعالم الواقعي الذي تعيشه شخصيات الرواية، فهي استراتيجية وآلية ذكية وجديدة في نفس الوقت اعتمدتها سحر للبوخ ما يختلج في النفس البشرية، وما تتأجج به من مشاعر وأحاسيس دفيئة تنتاب المرء بحسب مزاجه وأوضاعه وما تفرضه مجريات الحياة ودهاليزها.

خاتمة:

نخلص في الأخير أن رواية "نون" لسحر الموجي تعتنق مسارين أساسيين، المسار الأسطوري الذي يتحدث عن أدب الكهانة والسحر والمقتبس من الحكم والأساطير القديمة، فهي تعي به الروح وتسمو بها، فسحر الموجي تغوص في أغوار النفس البشرية وترسم أوجاعها وآلامها وأفراحها...الخ.

أما المسار الثاني فهو يرسم الحياة الجامعية المصرية، ومبنيًا في الوقت ذاته عادات وتقاليد المجتمع القاهري (المصري)، فتارة الشخصية المحورية تبحث وتكتب عن القرون والعصور الوسطى (السحر – الساحرات، الكهنة...الخ) جاءت شخصية تمتاز بالجمال والفن والإبداع.

صور المحكي تعثراتها في علاقاتها الزوجية وشخصية نورا المتحررة من كل القيم والأخلاق، فهي مثلت نموذج المرأة التي تتبع أهواءها وغرائزها الإنسانية.

شخصية دنيا صوّرها السرد ببلدها فلسطين وتحيا بمصر، أمّا العنصر الذكوري فقد جسده شخصية "حسام" الإعلامي الذي يترقب كل الأحداث الحاصلة في العالم عبر مواقع النت وشبكة التواصل الاجتماعي، تأتي كل ذلك بأسلوب شيق أحيانا يتمازج بين لغة البلاغة واللغة العامية اللهجة المصرية، إلا أننا نلمس تهليل نسيج الحكيم، وتغير في ربط الأحداث وتسلسلها ببعضها البعض فأحيانا تسقط حيثيات لا نجد لها تفسير في رواية، فمن حيث بناؤها الفني فبناء الرواية متشظي، واخترقته ملامح أسطورية وكان ذلك واضحا وجليا وجعلت من المحكي خطابا متميزا متفردا يجمع بين الواقع والخيال والأسطورة معايشا لكل القيم والعادات الموجودة في المجتمع العربي ككل ولا سيما المصري.

أسقطت الكاتبة شخصيتها على رموز وأسماء أسطورية وهذا إن دل على شيء فهو يدل على العمق الشعري الجمالي والتذوق الفني للنصوص وكيفية نسجها وحكيها بأنساق أخرى كالأسطورة وغيرها كآلية معتمدة في التعبير عن الواقع الحق وفهم الحاضر و النزوع نحو مستقبل أفضل، فهي بذلك أعادت إحياء النص الأسطوري وجعلتنا نقرأه بعيون الحاضر، أي إننا ننظر لعشتار وجلجامش بقيم وثقافة وفكر وأيديولوجية اليوم، وأصبحت رموزا لا تتجزأ منا من ذواتنا وأصل البشرية بشروها وخيرها، أما على المستوى الروحي والمعنوي والفكري فهي رواية ذات كتابة ساحرة مبدعة بتقنية مزجت بين النزعة الأسطورية والحياة الواقعية ومرد ذلك تشبع الكاتبة بمنابع الأساطير والشعر والحكم اليونانية الفرعونية... الخ (الأدب الغربي) وهذا ما ترك بصمته في هذه الرواية.

المصادر والمراجع:

المصادر:

1. سحر الموجي، رواية النون، بيروت، لبنان، دار الشروق، ط1، 2008.

المراجع:

الكتب:

1. بوجمعة بوبعوي، حضور الرؤيا واختفاء المتن حضور الرؤى واختفاء المتن دراسة في علاقة الأسطورة بالشعر العربي المعاصر، مطبعة المعارف، عنابة، الجزائر، ط1، 2006.
2. خليل أحمد خليل، مضمون الأسطورة في الفكر الغربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط3.
3. رولان بارث، لذة النص، ترجمة: عمر أوقان، أفريقيا الشرق، 1991.
4. سرجيو مورافيا، لغز العقل، مشكلة العقل-الجسد في الفكر المعاصر، ترجمة: عدنان حسن، منشورات وزارة الثقافة السورية، سوريا، 2002.
5. سعيد يقطين، السرد العربي، مفاهيم وتجليات، منشورات الاختلاف، الرباط، ط1، 2012.
6. محمد عبد المعيد خان، الأساطير والخرافات عند العرب، ط3، 1981.
7. نضال صالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2011.

الرسائل الجامعية:

1. سعيدة بن بوزة، الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، رسالة دكتوراه، إشراف: الطيب بودريالة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2008.

هوامش وإحالات المقال

- ¹ سعيدة بن بوزة، الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، رسالة دكتوراه، إشراف: الطيب بودريالة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2008، ص 56.

² سورة التكويد، الآية 08.

³ سورة النحل، الآية 58.

⁴ رولان بارث، لذة النص، ترجمة: عمر أوقان، أفريقيا الشرق، 1991، ص 21.

⁵ ينظر نضال صالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2011، ص 95.

⁶ سرجيو مورافيا، لغز العقل، مشكلة العقل-الجسد في الفكر المعاصر، ترجمة: عدنان حسن، منشورات وزارة الثقافة السورية، سوريا، 2002، ص

48.

⁷ خليل أحمد خليل، مضمون الأسطورة في الفكر الغربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط3، مقدمة الكتاب. ينظر أيضا بوجمعة بوبعوي، حضور

الرؤيا واختفاء المتن حضور الرؤى واختفاء المتن دراسة في علاقة الأسطورة بالشعر العربي المعاصر، مطبعة المعارف، عنابة، الجزائر، ط1، 2006،

ص 27.

⁸ المرجع نفسه، ص 110.

⁹ المرجع نفسه، ص 330.

¹⁰ مرسيا إلياد، مظاهر الأسطورة، ترجمة: نهاد خياطة، ط01، 1991، ص 10.

¹¹ بوجمعة بوبعوي، حضور الرؤيا واختفاء المتن حضور الرؤى واختفاء المتن دراسة في علاقة الأسطورة بالشعر العربي المعاصر، ص 25.

* للمزيد من الاطلاع على حياة سحر الموجي ينظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

¹² سحر الموجي: رواية النون، بيروت، لبنان، دار الشروق، ط1، 2008، ص 12.

¹³ المصدر نفسه، ص 12.

¹⁴ المصدر نفسه، ص 20، 21.

¹⁵ المصدر نفسه، ص 01.

¹⁶ المصدر نفسه، ص 19.

¹⁷ المصدر نفسه، ص 27.

¹⁸ المصدر نفسه، ص 43.

¹⁹ المصدر نفسه، ص 45.

²⁰ سورة الفيل، الآية 04، 05.

* عشتار هي آلهة الحب والجمال السامية ملكة السماء ونور العلم والبيغي المقدسة التي لا تخلص للحبيب، لها أسماء كثيرة مثل عشروت-

وأثارغاريسوأستارتوأستيروعشتار عند العرب الجنوبيين، وعشتار آلهة كبيرة في مجمع الآلهة السومري فهي آلهة الحب والجنس والخصب والحرب

أحيانا، ينظر محمد عبد المعيد خان، الأساطير والخرافات عند العرب، ط3، 1981، ص 227.

²¹ المصدر نفسه، ص 55.

²² المصدر نفسه، ص 67.

²³ المصدر نفسه، ص 69.

²⁴ سعيد يقطين، السرد العربي، مفاهيم وتجليات، منشورات الاختلاف، الرباط، ط1، 2012، ص 11.

²⁵ المرجع نفسه، ص 12.

²⁶ سحر الموجي: رواية النون، ص 79.

²⁷ المصدر نفسه، ص 79.

²⁸ المصدر نفسه، ص 109.

²⁹ المصدر نفسه، ص 179.